أرنولد توينبي: ونظريته التحدي والاستجابة في تفسير التاريخ

سليمان سالم الصرايرة*

بسام عبدالسلام البطوش

bassam.btoush@htu.edu.jo

ملخص

المهمة الأساسية لهذا البحث تنصب على فهم فلسفة المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي في تفسير التاريخ وتحليلها ونقدها، وذلك بالاعتماد على ما قدّمه من دراسة وتحليل وتعليل للحدث التاريخي العام في كتابه الشهير "دراسة للتاريخ"، مرتكزاً على نظرية التحدي والاستجابة، المكرّسة لتفسير الحدث التاريخي، وفهمه في سياق البيئة العامة للحدث. نظراً لأهمية المساهمة الفلسفية والمنهجيّة التي قدّمها توينبي في كتابه هذا في مجال نظريات وفلسفات تفسير التاريخ البشري العام، فقد اعتبرت مساهمة تأسيسية في ميدان فلسفة التاريخ وتفسيره وفهمه، كما شكّلت واحدة من أهم النظريات المقدّمة في هذا المجال في العصر الحديث، ولا شك أنها وجدت من يؤيدها في الوقت الذي صادفت فيه نقداً ومعارضة من آخرين.

ويتضمن هذا البحث تعريفاً بتوينبي وحياته وفكره، كما يتضمن بلورة منهجة في دراسة التاريخ، وتوضيح نظرية التحدي والاستجابة وموقفها من نشؤ الحضارات، وتوضيح علاقة التحدي والاستجابة بنمو الحضارات، وكذلك علاقتها بانهيار الحضارات وتحلّلها، وبسط إيقاع التحلل للبحث والتفسير والفهم، كما كان من مهام هذا البحث الوقوف على ما وُجّه لفلسفة توينبي في تفسير التاريخ، وعلى وجه التحديد لنظرية التحدّي والاستجابة من نقد.

* **كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة.**

تاريخ تقديم البحث: 2020/12/6م. تاريخ قبول البحث: 2021/6/21م .

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2023 م.

Arnold Toynbee and his Theory *Challenge and Response* in Interpreting History

Sulaiman Salem Alsarayreh*
Bassam Abdusalam Btoush
bassam.btoush@htu.edu.jo

Abstract

The main task of this research is to understand the philosophy of the famous British historian Arnold Toynbee in the interpretation, analysis, and criticism of history, based on his study, analysis and explanation of the general historical event in his famous book "A Study of History" in the light ofthe theoryof *Challenge and Response*, which is devoted to the interpretation of the historical event, and its understanding in the context of its general environment. Given the importance of the philosophical and methodological contribution that Toynbee made in this book in the field of theories and philosophies of the interpretation of general human history, his theory was considered a founding contribution to the philosophy and understanding of history, as well as one of the most important theories presented in modern times. No doubt it found those who support it at a time when it encountered criticism and opposition from others.

This research includes a definition of Toynbee, his life, and his thoughts, in addition to elaboration of his methodology in the study of history, clarifying the theory of *Challenge and Response* and its position on the creation of civilizations, shedding light on the relationship between challenge and response and the growth as well as the collapse of civilizations and their degradation, and stretching the rhythm of decomposition to research, interpretation, and understanding. Another task for this research was to examine what was directed to Toynbee's philosophy in the interpretation of history, specifically to his theory in terms of criticism.

* Faculty of Business, Mutah University.
Received: 6/12/2020. Accepted: 21/6/2021.
© All rights reserved to Mutah University, Karak, The Hashemite Kingdom of Jordan, 2023.

مقدمة:

يسعى الباحثان إلى تسليط الضوء على فلسفة التاريخ وتفسيره عند واحد من أشهر مؤرخي العصر الحديث، هو المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (Arnold Toynbee) (1889–1975م)، اعتماداً على دراسة وتحليل رؤيته الفلسفية ومنهجه في تفسير وفهم التاريخ المعروفة بنظرية التحدي والاستجابة التي بلورها في كتابه الشهير "دراسة للتاريخ" (A study of History). ويتطلع الباحثان إلى تأطير الحيز الذي تحتله نظرية "التحدي والاستجابة" في مجمل فلسفة توينبي في تفسير حركة التاريخ، ومنهجية فهم الحدث التاريخي ووضعه في سياقه العام، ونقد هذه النظرية وتوضيح اتجاهات المؤرخين نحوها.

ويتضمن هذا البحث تعريفاً بمسيرة حياة توينبي ومؤلفاته وفلسفته، ودراسة تحليلية للمحاور الأساسية لفلسفة التاريخ عنده، كما ظهرت في كتابه "دراسة للتاريخ"، مع الإفادة من عدد كبير من المصادر والدراسات الأولية. ويظهر جلياً من خلال هذه الدراسة المكانة الهامة، التي تبوأها توينبي في مجال فلسفة التاريخ ومناهج فهمه ودراسته وتحليله واستنباط المفاهيم العامة الرئيسة في دراسة تاريخ البشرية. وما أثارته مساهمة توينبي من مواقف متباينة حيالها تأييداً وقبولاً أو معارضة ورفضاً.

مشكلة الدراسة:

الهدف الرئيس لهذا البحث هو دراسة فكرة التاريخ عندّ المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، والوقوف على فلسفته في تفسير التاريخ، بالاعتماد على كتابه "دراسة للتاريخ" على وجه الخصوص، نظراً لأهمية المساهمة المنهجيّة التي قدّمها توينبي في كتابه هذا في مجال فلسفة التاريخ ومناهج تفسيره، فقد اعتبرت مساهمة تأسيسية في مجالها.

أسئلة الدراسة:

وتسعى هذه الدراسة للإجابة على جملة تساؤلات، منها: ما أهمية المساهمة الفكرية التي قدّمها توينبي في تفسير التاريخ؟ وماهي نظرية التحدي والاستجابة التي شكلت جوهر فلسفة توينبي في تفسير التاريخ؟ وما الأثر الذي تركته نظرية توينبي في مجال مناهج دراسة التاريخ في العصر الحديث؟ وما علاقة التحدي والاستجابة في نشوء الحضارات؟ وما العلاقة بين التحدي والاستجابة ونمو الحضارات وازدهارها؟ وكيف تفسّر نظرية التحدي والاستجابة انهيار الحضارات وتحلّلها؟ وكيف بسط توينبي إيقاع التحلل ضمن فلسفته في تفسير التاريخ؟ وما موقف فلاسفة العصر ومؤرخيه من نظرية التحدي والاستجابة وفلسفة توينبي في تفسير التاريخ وفهمه؟

منهجية الدراسة:

جرى الجمع بين المنهج التاريخي لدراسة تطور فلسفة توينبي في تفسير التاريخ وبناء نظريته التحدي والاستجابة، ومنهجيته في دراسة التاريخ العام للبشرية. وجرى التوقف عند مدى تأثير اللحظة التاريخية في بلورة فلسفة توينبي التاريخية. وكان المنهج الوصفي حاضراً، عبر وصف نظرية التحدي والاستجابة التي عبّرت عن فلسفة توينبي خير تعبير، وتفسيرها لنشأة الحضارات وازدهارها وانهيار الحضارات وتحلّلها، كما استخدم الباحثان المنهج التحليلي في تحليل فلسفة توينبي ونظريته في تفسير التاريخ وإخضاعها للنقد والتحليل، وعرض القراءات النقدية الموجّهة لفلسفة توينبي في تفسير التاريخ.

أولاً- حياته ونشأته (1889-1975م)

ولد آرنولد جوزيف توينبي(Arnold Toynbee) في لندن يوم 14/ نيسان/ 1889م لأسرة تنتمي إلى الطبقة الوسطى المثقفة، فقد كان والده يعمل موظفاً في شركة للشاي ووالدته تحمل درجة البكالوريوس في التاريخ من جامعة كمبردج ولها كتاب مدرسّي في التاريخ، وكان عمّه هاري من كبار المصلحين الاجتماعيين في عصره (Al-Shabak, 1962, p333) وكان جدّه لأبيه أول طبيب في لندن يتخصص في الأذن والحنجرة، ورائداً في الصحة العامة والتخدير، في حين كان جدّه لأمه مخترعاً في مجال السكك الحديدية.(Hattab,1974,pp291-292)

بدأ أرنولد توينبي تعليمه في مدرسة داخلية، حيث قضى فيها ثلاث سنوات، ثم التحق بعدها بكلية باليول(Balliol College) بمدينة وينشستر (Winchester) حيث أمضى فيها خمس سنوات (1902-1907)، وقد حصل في نهاية دراسته الثانوية على منحة مكّنته من مواصلة دراسته الجامعية في جامعة اكسفورد (Oxford) (1907-1911م) حيث درس التاريخ القديم، وعُيّن فيها بعد تخرجه، ثم ابتعثته جامعة اكسفورد للدراسة في المدرسة البريطانية للآثار في أثينا سنة 1911م.(Hattab,1974, pp291-293)

تلقى توينبي تعليماً ممتازاً في الموضوعات الكلاسيكية أي التاريخ اليوناني القديم والتاريخ الروماني، كما درس اللغة اللاتينية وهو في السابعة من عمره ولمدة خمسة عشر عاماً، ودرس اللغة اليونانية القديمة في العاشرة من عمره ولمدة اثنى عشر عاماً فأتقنها إتقاناً تاماً، ودرس الأدب اليوناني القديم على يد أستاذه غلبرت موراي (Gilbert Murray) (1866-1957م) واستطاع

خلال دراسته في الجامعات أن يتعلّم اللغة الألمانية، والإيطالية، واليونانية الحديثة، مع إلمام باللغة التركية، وأخيراً تعلّم اللغة العربية.(Hattab,1974, p-294)

وفي عام 1915م التحق للعمل بدائرة الاستخبارات السياسية في وزارة الخارجية البريطانية، وقد مكّنهُ ذلك من رؤية خلفية القرارات السياسية وكيفية اتخاذها، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى شارك في مؤتمر الصلح الذي عُقد في باريس عام 1919م.(Hattab,1974, p-294)

وشَغل توينبي منصب أستاذ مادة اللغة البيزنطية واليونانية الحديثة والآداب والتاريخ اليوناني القديم في جامعة لندن (London) عام 1919م، ولمدة خمسة أعوام، حيث اضطر إلى الاستقالة من هذا المنصب عام 1924م بسبب موقفه من الحرب اليونانية – التركية (1919–1922م)، فقد ذهب توينبي في1921م إلى جبهة القتال، وكتب إلى جريدة مانشستر جارديان (The Manchester Guardian) عن الجرائم التي تدور هناك، التي يرتكبها اليونان ضد الشعب التركي، وأصدر في عام 1922م كتاباً بعنوان المسألة الغربية في اليونان وتركيا، أدان فيه الدبلوماسية الغربية والتسوية السلمية، واتخذ موقفاً محايداً من الأتراك واليونان، وبصدور هذا الكتاب غضبت الجالية اليونانية المقيمة في لندن التي كانت تساهم في تمويل الكرسي الذي يُشغله فاضطروه إلى الاستقالة. (Al-Shabak, 1975, p13)

وفي عام 1925م شغل تونيبي منصب أستاذ وباحث للتاريخ الدولي في كلية الدراسات الاقتصادية في جامعة لندن(Hattab,1974, p-290.) وبعدها عمل أستاذاً باحثاً للتاريخ الدولي، ومديراً للمعهد الملكي البريطاني للدراسات الدولية في لندن " دار شتام" (House Chatham) وتولى إصدار حولية للشؤون الدولية، وهذه المهمة هيأت له فرصة الاطلاع على التاريخ المعاصر، وترتّب على ذلك كتابة مسح للشؤون الدولية المعاصرة، وأتمّ عمله هذا في كتابه دراسة التاريخ. وظل يعمل في دار شتام حتى عام 1955م. (Hattab,1974, pp- 295-296)

أما فكرة كتابه الشهير "دراسة للتاريخ"، فيقول أنها قد جاءت تعليقاً على الجوقة الثانية في مسرحية "انتيجون" (Antigone) لسوفوكليس (Sophocles)، وأنه كتب أثناء سفره بالقطار من اسطبول إلى لندن في 17 أيلول 1921م على نصف ورقة قائمة تضم نحو اثني عشر عنواناً، وقد ظلت هذه العناوين – مع تغيير طفيف جداً– عناوين الأقسام الثلاثة عشر في كتابه "الدراسة" وبدأ يكسو هذه الدراسة لحماً في عام 1927م، غير أن البداية الجديدة كانت في عام 1930م، وفي عام 1934م أصدر المجلدات الثلاثة الأولى، وفي 1939م أصدر ثلاثة مجلدات أخرى، وبعد نهاية

الحرب العالمية الثانية بدأ العمل على إتمام كتابه هذا، وفي عام 1954م أصدر أربعة مجلدات أخرى في تتمة الكتاب، وفي عام 1959م أصدر المجلد الحادي عشر، وفي عام 1961م أصدر المجلد الثاني عشر.(Hattab,1974, pp- 296-297)

ثانياً– منهجه في دراسة التاريخ

اعتمد توينبي المنهج التجريبي في دراساته التاريخية، وهو منهج ينطلق من اعتبار الأحداث والظواهر التاريخية حقائق واقعة. وراح يكشف عن هذه الحقائق في دراسة أحوال المجتمعات، ورصده لحركة سيرها في التاريخ، محاولاً استخراج العوامل المؤثرة في تلك الحركة سواء أكان ذلك التأثير إيجابياً أم سلبياً، وهو يلجأ إلى مقارنة بين التجارب الحضارية المختلفة، ويخرج باستنتاجات مشتركة وعامة أو تعميمات تفسّر أسباب ونتائج كل ظاهرة من الظواهر الاجتماعية المختلفة (Murad, 1996, pp280-281) كما أن توينبي، وهو يدرس التجارب الحضارية للأمم والمجتمعات (الحضارات) لجأ أحياناً إلى استعمال مناهج علم النفس الاجتماعي، فقد أفاد من مذهب "يونج" (Jung) – أحد تلاميذ "فرويد" (Freud)، وهو مذهب يدرس موضوع نفسية الجماعات، باعتبار أن النشاط أو السلوك الاجتماعي لهذه الجماعات مرتبط إلى درجة كبيرة بالبنية النفسية الخاصة بهذه الجماعات نفسها. (Murad,1996, pp280-280-281)

انطلق توينبي في دراسته التاريخ الإنساني، بدءاً من الحاضر المعاصر ذاهبـــاً إلى الماضـــي الذي يعتبر الجذر والأساس الذي قامت عليه الحضارات المعاصرة، وبهذا فقد سلك منهجاً مغايراً لسائر مؤرخي التاريخ العالمي الذين يبدأون بالماضي ليصلوا إلى الحاضـــر.(Murad, 1996, pp280-282. Mu'nis, 1982, p102) والبعض يرى أن توينبي تمكن من إحداث المصالحة بين علميّ الاجتماع والتاريخ على أحسن صورة ممكنة، واعتبروه في الواقع مؤرخاً وعالم اجتماع في آن معاً. (Mu'nis, 1982, 102p)

ولعل نقطة البداية والارتكاز في فكر توينبي، هي أن كل جزئية من جزئيات التاريخ لا يمكن أن تؤخذ بمعزل عن جملة سياق التاريخ، فليس باستطاعة المؤرخ أن يقطع شريحة من التاريخ ليضعها تحت مجهره مختبراً جزئياتها، فليس هناك إمكانية لفهم تاريخ أي أمة من الأمم بمعزل عن مجرى التاريخ العام وسياسته، فلا يمكن تفسير الحدث التاريخي إلا من خلال ربطه بالأحداث المتعاقبة في سياق التاريخ. (Toynbee, 1966, v1, p2) ويضرب مثلاً على ذلك بتاريخ بريطانيا، فهو برأيه مرتبط بجملة من القضايا الأساسية في مقدمتها قيام النظام الاقتصادي والصناعي في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وقيام الحكومة البرلمانية في القرن السابع عشر،

والكشوف الجغرافية، وتنامي التجارة العالمية، وإقامة ممتلكات في المناطق الاستوائية, وتكوين جماعات تتحدث باللغة الإنجليزية فيما وراء البحار، وحركة الإصـــلاح الديني في الربع الثاني من القرن السادس عشر، وحركة النهضة بما تنطوي عليه من تطورات في الجوانب الســـياسية والاقتصادية والفنية والفكرية منذ الربـــع الأخير من القرن الخامـــس عشـــر الميلادي (Toynbee, 1966, v1, p3. Khalil, 1982, p70).

ويرى توينبي أن كلاً من هذه الجوانب مرتبط بجملة من الصلات العديدة بحركة التاريخ وسياقه العام، وينتهي إلى القول بأنه لا التاريخ القومي البريطاني ولا غيره من تواريخ الأمم والشعوب يمكن أن يقوم حقيقة توضّح نفسها بنفسها، وإن التجربة التاريخية تغنيها وتشارك فيها عناصر تاريخية عديدة تؤثر في أجزائها المختلفة، وتشكّل معضلاتها. (Toynbee, 1966, v1, p4-20)

ونجد توينبي يؤكد أن الجزء لا يمكن أن يُفهم إلا بدراسة الكل، وإخضاعه لعملية تركيز تستوعب جوانب كل الجزئيات في سياق تاريخي واسع، ويؤكد أن الأمة والدولة هما أعضـــاء في المجتمع، وإن كل مجتمع أثناء حياته تواجهه مشكلات متتابعة، تفرض على كل عضـــو فيه أن يتولى حلّها بنفسه، وتعتبر كل مشكلة فيها تحدياً لعضو المجتـــمع يفرض عليه محنة يجتازها، وتؤدي تلك السلسلة من المحن إلى تمايز أعضاء المجتمع بالتدريج بعضهم عن بعض (Toynbee, 1966,v1, p7. Ismail, 1997, p25).

وعلى أساس أن المجتمعات (الحضـــارات) هي ميدان الدراسة القابـــلة للفهم قام توينبي بتقسيم المجتمعات إلى واحد وعشرين حضارة للإيفاء بغرض الدراسة. وهذه المجتمعات (الحضـــارات) لم يتبق منها ســـوى خمس هي: المســـيحية الغربية، والمسيحية الشـــرقية البيزنطية، والهندية، والشـــرق الأقصى، والإسلامية، كما أنها تولدّت عن مجتمعات ســـابقة. (Toynbee, 1966, v1, 21-39) . (Khalil, 1982, p70).

وقد رتب توينبي الواحد وعشرين حضارة في سلسلة متصلة تنقسم إلى قسمين:

الأول: الحضارات المتصلة بأنساب حضارية قديمة، وعددها على اختلاف طبيعة اتصالها حسب القوة والضعف خمس عشرة حضارة.

الثاني: الحضارات غير المتصلة أو المنقطعة عن كل نسب حضاري وعددها ست، وهي المصرية والاندينانية، والسومرية، والمينووية، والصينية، واليابانية (Toynbee, 1966, v1, p 81).

ويرفض توينبي الفكرة التي يرددها بعض المؤرخين حول وحدة الحضارة، واعتبرها فكرة خاطئة تردّى فيها المؤرخون الغربيون المحدثـــون تحت تأثـــير محيطهم الاجتماعي، مفترضين وجـــود نهر واحد للحضارة وهو الغرب (Toynbee,1966, v1, pp59-69). وفي كتابه دراســـة التاريخ (A Study of History)، أوضح توينبي بأنه قام بتطبيق منهج البحث العلمي، فهو يرى أن ثمة وسائل ثلاثة مختلفة لمعاينة موضوعات الفكر وعرضها:

الأولى: تحقيق الوقائع وتسجيلها.

الثانية: استخلاص قوانين عامة عن طريق دراسة مقارنة للوقائع المحققة.

الثالثة: إعادة تصوير قوانين عامة عن طريق مقارنة الوقائع المحققة.

وهو يرى بأن التاريخ لا يُشغل نفسه بتسجيل جميع حقائق الحياة البشرية، إذ يدع جانباً من حقائق الحياة الاجتماعية في المجتمعات البدائية لعلم الانثربولجي (Anthropology) كي يستخلص منها قوانينه، ويعهد إلى علم السيرة (Biography) بتسجيل وقائع حياة الأفراد.

فالتاريخ برأيه يُعنى ببعض حقائـــق الحياة البشـــرية لا بجميعها، ومن ناحية أخرى يســـتنجد التاريخ بالمصنفات الخيالية ويستخدم القوانين إلى جانب تســـجيله الحقائـــق (Toynbee, 1966, v1, pp72-73)، كذلك يستعين التاريخ بعدد من العلوم الفرعية التي تتولى استخلاص القوانين العامة بالنسبة للحضارات لا المجتمعات البدائية؛ كعلم الاقتصاد، وعلم السياسة، وعلم الاجتماع (Toynbee,1966, v1, p74.).

ثالثاً– التحدي والاستجابة ونشؤ الحضارات

ينطلق توينبي في تفسيره لنشؤ الحضارات، وتحوّلها من مجتمعات بدائية إلى مجتمعات حضارية من نظرية التحدي والاستجابة، "وتنطلق هذه النظرية من تمييز بين حالتين إنسانيتين يُرمز لهما عند توينبي بالمصطلحين الصينيين، Yin (السلب) و Yang (الايجاب)، أي حالة من الخمود والمحافظة على تماثل مدرك، وحالة من التقدم الإبداعي إلى المجهول، وتحوّل عن عادات السلف إلى إسلوب في الحياة جديد، وهذه هي الازدواجية النهائية في الحياة الإنسانية، والمبدأ الأول في التفكير التاريخي.

إن مسيرات التاريخ تتبع من انتقال مجموعة من الناس، من السلب إلى الإيجاب، وكل ما يفعله التفكير التاريخي هو متابعة الظروف التي حصل فيها التغير والنتائج التي تمخضت عنه، وهذه العملية المزدوجة، تعبّر عن نفسها بصورة متعددة، كالانسحاب والعودة، والتحدي والاستجابة، وفي التبديد والحشد" (Toynbee, 1966, v1, p84. Hattab,1974, pp298-299).

وتوينبي قبل أن يعرض رؤيته الخاصة لعملية نشؤ الحضارات (The Genesis Civilization) فإنه يناقش النظريات التي تحاول تفسير النشؤ الحضاري، كنظرية الجنس أو العرق ونظرية البيئة، على النحو الآتي:

1- نظرية الجنس أو العرق: وهي تتحدث عن توفر بعض الصفات المميزة والموروثة في جماعات معيّنة من البشرية، وتتعلق بالسجايا النفسية أو الصفات الروحية، الموجودة بالفطرة في بعض المجتمعات". (Toynbee, v1, 1966, p87). وقد اعتبرها توينبي شكلاً من أشكال العنصرية، وهو يرفض اعتبار الجنس هو الدافع إلى الخروج من الين إلى اليانج، أو من الثبات إلى الحركة الدافعة". (Toynbee, v1, 1966, p87-93).
2- نظرية البيئة: وهي تعطي البيئة الدور الأساسي في نشؤ الحضارات، وهي تركّز على دور وتأثير الأحوال المناخية والجغرافية، في نشؤ الحضارات، وهو يرفض هذه النظرية، ويلفت النظر إلى أن هناك مناطق متعددة تتشابه فيها الظروف البيئية، ولكن نشأ في بعضها حضارات ولم ينشأ في الأخرى" (Toynbee, v1, 1966, p94-95).

ويخلص توينبي إلى أنّه "لا الجنس ولا البيئة- إن أُخذ كل بمفرده- يُمثِّل العامل الإيجابي، الذي أيقظ الجنس البشري، في غضون الستة الآف السنة الماضية من حالة الركود في مستوى مجتمع بدائي، ودفعه إلى طريق محفوف بالمخاطر سعياً وراء الحضارة" (Toynbee, v1, 1966, p100).

ويؤكد توينبي أن نشؤ الحضارات ليس نتاج العاملين البيولوجي أو البيئي منفصلين، وإنما النشؤ هو نوع من التفاعل بين هذه العوامل، وهذا التفاعل ليس مفرداً، ولكنه متعدد وليس وحدة مستقلة، ولكنه علاقة مشتركة" (Toynbee, v1, 1966, p101).

ويرى توينبي أن نظرية التحدي والاستجابة، هي أوفر حظاً من نظريتي الجنس والبيئة في تفسير نشوء الحضارات، ويقول: "إن فكرة التحدي والاستجابة، أوفر حظاً في الاتفاق مع العامل الذي نبحث عنه، من نظريتي الجنس والبيئة، اللتين سبقت موازنتهما قبل إذ، ووجدتا

ناقصتين". (Toynbee, 1966, v1, p112) وهو يريد الوصول إلى إثبات أن "التفاعل بين التحديات والاستجابات، هو العامل الذي يُعتدّ به قبل كل شيء آخر في بدء الحضارات". (Toynbee, v1, 1966, p127).

وهو يرى أن نظرية التحدي والاستجابة بإمكانها تفسير النشـــؤ الحضاري، مع الأخذ بالعاملـــــين السابقين من زاوية جديدة، وهنا يبدأ توينبي ببحث طبيعة الحوافز، التي أدت إلى قيام الحضـــارات، ويجد في كل منها تحدٍ بشري بالدرجة الأولى، واستمرارية تحدٍ جغرافي بالدرجة الثانية"(Toynbee, 1966, v1, p112). وبيَّن أن هناك خمسة دوافع تستثير الدافع الخلاّق، وهي:

1- حافز الأرض الصعبة:

يرى توينبي بأن الأرض الصعبة ذات الظروف الطبيعية القاسية، وتحدياتها هي التي تحفز الإنسان على العمل الخلاّق المبدع، الذي ينشئ الحضارة، وأورد عدداً من الأمثلة، منها انبعاث الحضارة الصينية، في وادي النهر الأصفر ذي التحديات الطبيعية المتنوعة، التي جعلته غير صالح للملاحة في كل الفصول، لكن الجهد البشري عبر آلاف السنين أثمر التغلب على هذه التحديات، فكان أن نشأت الحضارة الصينية في هذا الوادي، ولم تظهر في وادي نهر اليانغتسي (Yangtze)، الصالح للملاحة في جميع الفصول (Toynbee, 1966, v1, p148).

2- حافز الاستيطان في أرض جديدة:

فهو يرى أن انتقال الفرد أو الجماعة إلى أرض جديدة يُعتبر حافزاً لنشؤ الحضارة، بل إن انتقال الحضارة من موطنها الأصلي، إلى أرض جديدة يساعد على التقدم، ويضرب مثلاً يتعلق بالحضارة (الإيرانية) التي اكتمل نموها في الأناضول، وفي الهند، وكذلك الحال بالنسبة للحضارة البيزنطية التي ازدهرت عندما انتقلت إلى روسيا والبلقان (Toynbee, v1, 1966, p168).

3- الحافز الناتج عن الضربات أو النكبات:

ويتحدث توينبي عن ثلاثة أشكال من الضربات والتحديات، تنقسم إلى الصدام الخارجي (صدمات خارجية)، أو عندما يطـــول الحافز فيتحول إلى ضغط متص ـــل (ضغط خارجي)، أو الصراع الاجتماعي الداخلـــي (الطبقات)، ويســـمى اقتصاص داخلي (Toynbee, 1966, v1, p181)، ويعطي مثالاً يتعلق بانتصار البرابرة على روما، وأن ذلك "هيأ لها أخيراً موضعاً يسمح لها بفرض زعامتها على بلاد اللاتين (إيطاليا)(Toynbee, 1966, v1, p182) .

4- حافز الضغوط الخارجية:

وهو ضغط خارجي متواصل، من الناحية الجغرافية السياسية، تتعرض له في الأغلب الشعوب والمدن الحدودية، ويرى تونيبي أن المدن والولايات المتاخمة للحدود، كما السكان الذين يعيشون على التخوم، يلعبون دوراً مهماً في التاريخ يفوق الدور الذي أدته الأراضي والسكان الذين يتمتعون بقدر أكبر من الحماية. (Toynbee, 1966, v1, p187) ويمثّل لذلك بأن العثمانيين والقرمانيين ورثوا الدولة السلجوقية، فقد ورث القرمانيون لباب الأملاك السلجوقية، بينما حصل العثمانيون على فضلات المُلك السلجوقي، الواقع على حافة هضبة الأناضول الشمالية الغربية، في مواجهة الامبراطورية البيزنطية؛ فكان ذلك الموقع الحدودي دافعاً وحافزاً ليبذل العثمانيون مزيداً من الجهود الإبداعية (Toynbee, 1966, v1, pp189-191).

5- حافز النقم (العقوبات والقصاص):

يعتقد توينبي بأن هذا الحافز قادر على توليد شرارة الحضارة بمعنى أن الجماعة التي تتعرض للعقاب أو القصاص، من جانب جماعة أخرى متسّودة، تحاول التعويض عما أصابها من خطر، بابتكار أساليب جديدة لفرض وجودها وإثبات كيانها، وهو يرى أن الجماعة المضطهدة "تستطيع الاستجابة للتحدي المقيّد لحريتها، أو الذي يحرمها من مزاولة طائفة من أوجه النشاط، وذلك بوساطة تركيز طاقاتها، في ميادين أخرى، والتفوق فيها". (Toynbee, 1966, v1, p210) وهذا ما يحدث مع الأفراد ذوي الإعاقات، ففي حالة الأعمى العاجز عن الحرب، فإنه يتحوّل إلى شاعر يردد الجنود أشعاره، وهكذا... (Toynbee, 1966, p215)

رابعاً- التحدي والاستجابة ونمو الحضارات

قبل أن يدخل توينبي في مناقشة مسألة نمو الحضارات، يتطرق إلى مدخل هام يتعلق بمدى التحدي والاستجابة، ويخلص من مناقشة طويلة لهذا الموضوع إلى أن "أعظم التحديات حفزاً يوجد في متوسط بين التفريط والإفراط في الشدّة" (Toynbee, 1966, v1, p233). ويوضّح فكرته بأن الوضع الذي يقل عنده التحدي، تكون الاستجابة أقل فعلاً، وفي المقابل فإن ازدياد شدة التحدي حتى تصبح فوق المتوسط، لا تصحبه أية زيادة في نجاح الاستجابة، ولكن – على العكس- تهبط الاستجابة". ويقرر بأن "ثمة مدى متوسط للشدة يكون الحافز عنده في أعلى درجاته، وسنلقب هذه الدرجة بالمثلى، باعتبارها نقيضاً للقصوى" (Toynbee, 1966, v1, p242).

ويمكن القول بأن علاقة التحدي بطبيعة الاستجابة يندرج في رؤية توينبي في صور ثلاثة هي:

أ- أن قصور التحدي يجعل الطرف الآخر عاجزاً تماماً عن استجابة ناجحة.

ب- أن التحدي البالغ الشدة يحطم روح الاستجابة.

ج- أن التحدي المتوسط يستثير الطاقات المبدعة، وهنا تحدث الاستجابة الناجحة، ولكن التحدي الأمثل هو ذاك، الذي لا يستثير استجابة ناجحة واحدة فقط، ولكن هذه الاستجابة الناجحة، تشكّل بدورها تحدياً للطرف الأول، تحمله على الدخـــــول في مرحلة صراع جديدة، أي الانتقال من حالة الين إلى حالة اليانغ مرة أخرى، حتى يصبح الفعل ورد الفعل، ايقاعاً منتظماً يحمل كل طرف على محاولة ترجيح كفة ميزانه لا الوقوف بها عند حالـــة التوازن (Subhi, 1975, p270. Wedgery, 1979, pp324-325).

ويلاحظ توينبي، أن دور النمو في الحضارات ليس دوراً طبيعياً وملازماً لنشوء الحضارات، فهناك حضارات نشأت وتغلّبت على مرحلة الميلاد والطفولة، ولكنها أخفقت في متابعة نموها، وهي الحضارات المتعطّلة، أما الحضارات المتطوّرة؛ فهي التي تنجح في الاستجابة للتحدي، والحضارات التي تفشل في الاستجابة فهي الحضارات العقيمة (Toynbee, 1966, v1, p275).

وكانت الخطوة الأولى عند توينبي في بحث نمو الحضارات، هي دراسة مشكلة النمو، ضمن الحضارات التي انبعثت استجابة لتحدٍ مادي كحضارة البولينيزيين(Polynesia)، والاسكيمو (Eskimo)، والبدو، ومن ضمن الحضارات التي انبعثت استجابة لتحدٍ بشري، حضارة العثمانيين والإسبارطيين (Spartoi). لقد انبعثت هذه الحضارات بفضل زيادة التحديات، التي بلغت درجة عالية من الشدّة، جعلتها حضارات متعطلة أو أسيرة (Arrested Civilization) وقد بلغت شدة التحدي الدرجة الجدّية، وهي الدرجة الواقعة بين الدرجة التي تتيح حفزاً يقود إلى مزيد من الارتقاء، والدرجة التي يتحتم عندها الإخفاق (Toynbee, 1966, v1, pp275-276. v1, pp287-303).

إن النمو الحضاري في رأي توينبي، يكون من خلال مسير يمضي بالمجتمع من تحدٍ إلى استجابة، ثم إلى تحديات جديدة، واستجابات جديدة، ويقول "إن أشد التحديات استثارة؛ ما هو من درجة متوسطة: بين إفراط في الشدة، ونقصان فيها" (Toynbee, 1966, v1, p313).

والتحدي الأمثل عند توينبي ليس ذاك الذي يقتصر على استثارة الطرف المتحدّي، ليُنجز استجابة ناجحة بمفردها، ولكنه التحدي الذي يشتمل على كمية الحركة التي تحمل الطرف المُتحدّى خطوة أبعد من استجابة ناجحة بمفردها؛ تحمله من مرحلة استكمال الاستجابة إلى مرحلة صراع جديد، من مشكلة واحدة حُلّت إلى مواجهة أخرى، أي من حالة الين إلى مرحلة اليانج مرّة أخرى (Toynbee, 1966, v1, p313-314).

ويناقش توينبي النظريات التي تحاول تفسير النمو الحضاري، وهي:

- الامتداد الجغرافي، وهنا يكون الفوز على صورة امتداد جغرافي، أي السعي للضم والسيطرة على المجتمعات البشرية الأخرى، التي تجد نفسها على اتصال بها، وتوينبي لا يعتبر الامتداد الجغرافي ارتقاءً حقيقياً، وقد يتوافق مع الارتقاء النوعي، وقد يكون مظهراً جزئياً لفترة التوسع ليس إلا، لكن غالباً ما يرافق انحدار المجتمع بشكل فعلي، متوافقاً مع حدوث (عصر اضطرابات)، أو قيام دولة عالمية، وكلاهما مرحلتي إنحلال وتفكك (Toynbee, 1966, v1, p317-318).
- إخضاع البيئة المادية، وهنا يكون معيار التقدم والنمو، هو إخضاع البيئة المادية، وبالتدريج من خلال التحسينات الطارئة على الأساليب التكنولوجية (Toynbee, 1966, v1, p332).

يرفض توينبي وجود ترابط، بين التطور التكنولوجي، وبين التقدم الحضاري، واعتبر أن التغيّر الذي كان فاتحة تقدم مذهل في الأساليب التكنولوجية، ردّة لمقاييس الحضارة، واستشهد بأن التقدم في الفنون الحربيّة بل وحتى في فنون الزراعة سيدة فنون السلام، كان مصاحباً لانحدار في الحضارة، واستدل بالتاريخ الهيليني الذي قاد فيه التطور الزراعي إلى انتشار المزارع التي تقوم على الأرقاء (Toynbee, 1966, v1, p324-328).

ويرى توينبي أن القاعدة التي تحكم الارتقاء الحضاري، هي "التبسيط المتتالي"، وفي كافة مجالات الحياة، والتبسيط هنا يهدف ليس إلى الحذف والإزالة، بل إلى زيادة الكفاية، وقاعدة الارتقاء التي فشلنا في العثور عليها خلال غزونا البيئة الخارجية (مادية أو بشرية) تقع أكثر ما تقع في نطاق الداخل، والتحديات لا تبعث من الخارج لكنها تنشط من الداخل، والاستجابات تُظهر نفسها في الترابط الذاتي أو تقرير المصير (Toynbee, 1966, v1, p332-333).

والتبسيط الآنف الذكر يُعبّر –برأيه– عن دافع حيوي يعمل في ذات الإنسان ليحررها، من العوائق المادية، ويجعلها تسيطر عليها، في سبيل إطلاق الطاقات البشرية الكامنة في المجتمع، وبالتالي في سبيل التحقيق الذاتي والتكامل الاجتماعي، بفعل إرادي حرّ، بحيث أن الشخصية النامية أو الحضارية، تسعى إلى أن تصير هي نفسها بيئة لنفسها، وتحدياً لنفسها، ومجال عمل لنفسها (Khoury, 1960, p34-35)، ويضرب مثلاً بأن الآلات العاملة بالوقود حلت محل الآلات البخارية، وأن الحافلات الحرّة (السيارات) حلّت محل القاطرات، واللاسلكي محل التلغراف، وهكذا. (Toynbee, 1966, v1, p331-348)

ويرى توينبي أن "قوام التقدم الحقيقي، عملية يعرّفها بكلمة "التسامي" ويعني بها التغلب على الحواجز المادية، وتعمل عملية "التسامي" على إطلاق طاقات المجتمع من عقالها، لتستجيب للتحديات التي تغدو– منذ الآن وصاعداً– داخلية أكثر منها خارجية، روحانية أكثر منها مادية" (Toynbee, 1966, v1, p476).

يناقش توينبي طبيعة العلاقة بين الجماعات البشرية والأفراد، ويتوصل إلى أن "المجتمع حصيلة العلاقات بين الأفراد" (Toynbee, 1966, v1, p354)، ويقرر أن "المجتمع هو ميدان الفعل، إلا أن مصدر الفعل بأسره، مرجعه الأفراد، الذين يتكوّن منهم المجتمع (Toynbee, 1966, v1, p354)، وأن هؤلاء الأفراد الذين يقودون التقدم في مجتمعاتهم، أعظم من كونهم رجالاً عاديين، بل هم عباقرة بالمعنى الحرفي وليس بالمعنى المجازي فحسب، ويؤكد أن النمو الحضاري كله، لا يكون إلا بواسطة المبدعين من الأفراد، أو بواسطة الفئة القليلة من هؤلاء القادة (Toynbee, 1966, v1, p354)، ويخلص إلى "أن جميع أفعال الإبداع الاجتماعي، هي نتيجة أعمال عباقرة أفراد، أو أكثر ما يكون أقليات عبقرية" (Toynbee, 1966, v1, p358).

ويذهب توينبي إلى أنه يتوجب على العباقرة قيادة أغلبية المجتمع الساحقة العاطلة عن الإبداع، وعليهم تحديد السُبل التي تجعل الأكثرية تسير ورائهم، وهذا–برأيه– يتحصل بأسلوبين:

الأول: عن طريق التدريب، وتقوم على معاناة الأكثرية للخبرات نفسها، ومشاركتها في الحالات الوجدانية نفسها التي مرّت بها الأقلية المبدعة، أي تعريض الجميع للتجربة الواقعية التي مرّ بها الأفراد المبدعون. (Toynbee, 1966, v1, p364)

الثاني: عن طريق المحاكاة والتقليد للطليعة الخلّاقة، كما يحدث في المجتمعات الحضارية، وهو يرى أن مجال الاختيار الوحيد المفتوح، في حالة الجميع هو الخيار الثاني وأن المحاكاة "طريق مختصر" وفي وسع عامة الناس سلوكه في إثر زعمائهم (Toynbee, 1966, v1, pp361-362)

يرى توينبي أن عمل الفرد المبدع، هو حركة مزدوجة قوامها الاعتزال والعودة، أو الإنسحاب بُغية الإستنارة، ثم العودة رجاء إثارة بقية أفراد المجتمع (Toynbee, 1966, v1, p477).

وفي الاعتزال أو الاعتكاف يُتاح للشخصية تحقيق الطاقات في ذاتها، وهي طاقات تظل كامنة إذا لم يُفك أسارها من أحابيل وشباك الوسط الاجتماعي، والاعتزال قد يكون اختيارياً أو مفروضاً، وهو شرط أساسي للتجلي، والعودة هي جوهر الحركة برمتها، وعلّتها النهائية، فلا فائدة من الإعتزال، إن لم يتبعه عودة العبقري إلى الوسط الذي اعتزله (Toynbee, 1966, v1, p363). وهذه الظاهرة تتجلى في حياة عدد من الأنبياء والرسل والعظماء (Toynbee, 1966, v1, p363-384) كما تتجلى في عدد من المجتمعات الصغرى التي قادت باعتكافها وعودتها، ما كانت تنتمي إليه من الحضارات الكبرى في مراقي النمو والازدهار؛ "كإيطاليا وانجلترا اللتين اعتكفتا – الأولى فيما قبل عهود النهضة، والثانية في العصور الوسطى– لتعدّا عدتهما الكبرى لإنهاض الحضارة الغربية" (Toynbee, 1966, v1, p385-400. Khoury, 1960, p34-35).

أوضح توينبي بأن الإرتقاء يتحقق عندما يستجيب فرد أو أقلية أو مجتمع، لتحدٍ ما بإبراز استجابة لا تقتصر على الاستجابة للتحدي، بل تجعل المستجيب يواجه تحدياً جديداً يقتضي استجابة أخرى. والتحديات المتتالية تُوجد تمايزاً في داخل نطاق المجتمع، وكلما طال أمد سلسلة التحديات، كلما ازدادت قوة هذا التمايز وضوحاً، ومن هنا تظهر خصائص للحضارات المختلفة، تبعاً لاختلاف الكيفية التي تستجيب بها الأقلية؛ فالحضارة الهيلينية جمالية الطابع، والحضارة الهندية ذات طابع ديني، أما الحضارة الغربية فهي علمية المنحى آلية السمات (Toynbee, 1966, v1, p385-401-403).

خامساً- التحدي والاستجابة وانهيار الحضارات

يرى توينبي أن مشكلة الانهيار الحضاري تبدو أشدّ وضوحاً، من مشكلة النمو الحضاري، وهو يعرض عدداً من التفسيرات القائمة على مبدأ الحتمية لعملية الانهيار الحضاري، ويُقرر معارضته لهذه التفسيرات، ومن أهمها:

1- المبدأ الذي يتحدث عن شيخوخة الكون، وسيره نحو العدم المحتوم، أو بعبارة أخرى (التهافت الكوني)، الذي يؤدي إلى السير باتجاه العدم، واستهلاك طاقة العمل (Toynbee, 1966, v1, p415).

2- المبدأ الذي يعتبر المجتمعات كائناً حياً، يمرّ بأدوار العمر المختلفة، وهذا يُدخل المؤشرات البيولوجية، كأحد أسباب سقوط الحضارات، وهو يرى أن الحضارة كائن من نوع لا يخضع للقوانين البيولوجية (Toynbee, 1966, v1, p416).

3- المبدأ الذي يرى أن انهيار الحضارة، ناتج عن شيء حتمي من شأنه تعويق سير الوراثة، بتلف يُصيب الأفراد المشتركين في الحضارة، نتيجة توالي تسلسلهم في أسلاف متحضرين، وأنه بعد انقضاء فترة من التحضر لا يتيسر إنعاش الجنس إلا بفضل سكب "دم جديد همجي" (Toynbee,1966, v1, p417, p480).

4- نظرية أكوار التاريخ، وهي تتحدث عن حركة دورية للتاريخ البشري بتأثير الفلك، وهنا، يرفض تفسير التاريخ البشري باستخدام المصطلحات الدوريّة، أو بالاستناد إلى النظرية الدورية، وهو يرفض أن يكون التاريخ مجرد "إعادة أحداث"، أو يتضمن نظاماً دورياً (Toynbee, 1966, v1, p421-426).

5- مبدأ فقدان السيطرة على البيئة، ويرفض توينبي أن يكون فقدان السيطرة على البيئة المادية، سبباً لانهيار الحضارة، بل نتيجة لها، وإن انحطاط الأسلوب التكنولوجي هو نتيجة انهيار الحضارة وليس سبباً له، ويضرب مثلاً، بأن التخلي عن الطرق الرومانية، ونظام الري في العراق، كان نتيجة لا سبباً لانهيار كل من الحضارتين (Toynbee, 1966, v1, p428-429). ونلحظ هنا أن توينبي يرفض أن يكون فقدان السيطرة على البيئة البشرية المحيطة، أو تقلّص التوسع الجغرافي، من عوامل الانهيار (Toynbee, 1966, v1, p436)، كما يرفض أن يكون الانهيار ناجماً عن عدوان خارجي مهلك، أو صدمة قوة بشرية خارجية، أو بسبب القضاء والقدر، أو الإعدادات

العابثة لقوانين الطبيعة الجامـــدة، أو الانحطـــاط في الأســـاليب الصناعيـــة أو التكنولوجيـــة (Toynbee, 1966, v.2, p436).

ويرى توينبي أن ستاً من الحضارات السبع القائمة؛ وهي المسيحية الأرثوذكسية (البيزنطية)، والمسيحية الأرثوذكسية (الروسية)، والحضارة الهندية، والشرق الأقصى (المانشـــو)، والشرق الأقصى (اليابان)، والمجتمع الإسلامي (حركة الجامعة الإسلامية)، أنها جميعاً وصـــــلت مرحـــلة الدولة العالمية، وهذا مؤشر قوي على بداية تحلّلها وانهيارها، أما الحضارة السابعة وهي الحضارة الغربية؛ فلم تصل بعد مرحلة الدولة العالمية، والدولة العالمية، يـــسبقها عصـــر الاضطرابات، ويتلوهـــا مرحلة الفراغ، وهو يرى أن عصر اضطرابات الحضارة الغربية قد بـــدأ فعـــلاً (Toynbee, 1966, v1, p410-411).

والانهيار الحضاري عند توينبي هو "خسارة في الطاقة المبدعة، التي تضمها بين جنباتها، نفوس المبدعين أو الأقليات المبدعة"، وهذه الخسارة تُجرّدهم من القدرة على التأثير في نفوس الجماهير؛ فعندما ينتفي الإبداع تنتفي المحاكاة (Toynbee, 1966, v1, p412)، والأقلية المبدعة، لمّا تفقد الإبداع، تتحول إلى أقلية مسيطرة، وتسعى إلى استخدام القوة للاحتفاظ بمركزها، مما يؤدي إلى إنشقاق في المجتمع(Toynbee,1966,v1,p412)، ويخلص توينبي إلى إيجاز طبيعة انهيار الحضارات في ثلاثة عوامل:

1- قصور الطاقة الإبداعية في الأقلية.
2- عزوف الأغلبية عن محاكاة الأقلية بعد قصور طاقتها الإبداعية.
3- فقدان الوحـــدة الاجتماعية في المجتمـــع بصـــفة عامـــة نتيجة لمـــا تقدّم (Toynbee, 1966, v1, p412-413).

ويرى توينبي أن إخفاق الأقلية، ناتج عن عدم استجابتها لتحديين متتاليين أو أكثر في تاريخ حضارة من الحضارات؛ فتنزع الأقلية التي تميزت بمعالجة تحد واحد إلى الإخفاق بشكل واضح في معالجة التحدي الثاني، وهنا تقوم هذه الأقلية بما يُعرف بخطة عكس الأدوار، وذلك أن عدد المرشحين المحتمل، لتأدية دور المبدع في وجه التحدي المحتمل يتناقص، ويترتب على الذين قاموا بدور المبدع، في الجيل السابق أن يكونوا معارضين لكل من يحتمل قيامه باستجابة ناجحة، والمبدعون السابقون يُشغلون مراكز السلطة والنفوذ في المجتمع الذي ينتسبون إليه، وينتسب إليه كذلك المبدعون المحدثون الاحتماليون، ولن يتمكن المبدعون السابقون من معاونة المجتمع في سيره

نحو الأمام(Toynbee, 1966, v2, p54-57). ويرتدّون إلى عبادة الذات الفانية، أو عبادة نظام فانٍ، أوعبادة إسلوب تكنولوجي فان (Toynbee, 1966, v2, p54, p85, p480).

سادساً- التحدي والاستجابة وتحلل الحضارات

كما أن ارتقاء الحضارات كان نتاجاً لعملية التحدي والاستجابة، فإن تحللها رهن للعملية ذاتها، ويرى توينبي أن انحلال الحضارة قوامه "تكرار التحدي أو تواتره، لكن الاستجابات تفشل هنا، عكس نجاحها في حالة ارتقاء الحضارة، وسيترتب على ذلك بروز التحدي المرّة بعد الأخرى، عوضاً عن نشؤ سلسلة من التحديات، يختلف إحداهما في طابعه عن سلفه، الذي سبقت مجابهته بنجاح" (Toynbee, 1966, v2, p148).وتكرار التحدي نفسه، دون القدرة على الاستجابة، أو الاستجابة القاصرة البطيئة يقود حتماً إلى اصطدام يُدمّر المجتمع، الذي يُبدي عجزه عن الاستجابة الفاعلة (Toynbee, 1966, v2, p149).

وتوينبي الذي يرى أن الضعف كامن أصيل في الحضارة المنهارة، وهو نتاج عوامل داخلية، (Toynbee, 1966, v2, p1) والقاعدة الرئيسة للانحلال هي الانشقاق أو الانقسام داخل المجتمع نفسه، بسبب تفشي الخلافات الداخلية في الكيان الاجتماعي، وأُسّها هو أن الأقلية المبدعة التي تفقد سرّ إبداعها، تلجأ إلى استخدام القوة، ضد الفئات الأخرى، فينجم عن ذلك انشقاق اجتماعي، يؤدي إلى بروز البروليتاريا الداخلية والبروليتاريا الخارجية، وتسود المجتمع حركتان سلبيتان؛ الأولى: محاولة الأقلية المسيطرة، المحافظة بالقوة على المركز الممتاز الذي باتت لا تستحقه، والثاني: قيام البروليتاريا بمواجهة القوة بالقوة، وينتج عن هاتين الحركتين السلبيتين عمل إيجابي خلاّق يتمثل في:

1- قيام الدولة العالمية، على يد الأقلية المسيطرة.
2- قيام نظام ديني عالمي (كنيسة عالمية)، عقيدة دينية عالمية، على يد البروليتاريا الداخلية.
3- قيام حرب عصابات، على يد البروليتاريا الخارجية (Toynbee, 1966, v2, p158, p485).

الانشقاق الاجتماعي:

أما كيف يقع الانشقاق الاجتماعي في رؤية توينبي، فإنه يوضّح أن هذا الإنشقاق يقع على النحو الآتي:

1- الأقلية المسيطرة، ولتغطية إخفاقها، والتعويض عن فعاليتها المفقودة، بفعالية مصطنعة، تنجز دولة عالمية، ومدرسة فلسفية (Toynbee, 1966, v2, p162-168).

2- البروليتاريا الداخلية، وهي عنصر اجتماعي كائن في كل المجتمعات، وسمتها الرئيسة ليست الفقر، أو الأصل الوضيع، بل شعور الفرد بالحرمان من المكانة، التي كان أسلافه يحظون بها في المجتمع، أو سخط يزكيه هذا الشعور (Toynbee, 1966, v2, p171-172).

3- البروليتاريا الخارجية، وهي تبرز للوجود بفعل انشقاق عن الأقلية المسيطرة، لحضارة أصابها الانهيار، وبينما تستمر البروليتاريا الداخلية، في تمازجها الجغرافي مع الأقلية المسيطرة، التي تفصلها عنها هوَّة أدبية، فإن البروليتاريا الخارجية تفصلها عن الإقليمية المسيطرة، حدود جغرافية، بالإضافة إلى الهوّة الأدبية (Toynbee, 1966, v2, p214).

ويعتقد توينبي بأنه في ظل الحضارة المنحلة يطرأ تغيّر جذري في سلوك الناس ومشاعرهم، ويحل محلّ الصفات والقوى المبدعة، ثنائية من المواقف المتناقضة، وفي هكذا ظروف هنالك ثمة طريقتان للسلوك الشخصي، وطريقتان للسلوك الاجتماعي، وعلى النحو التالي:

في حالة السلوك الشخصي:

الأولى: محاولة سلبية الطابع قوامها "إلقاء الحبل على الغارب"، وفيها تُطلق النفس لذاتها العنان.

الثانية: الاختيار الإيجابي، وهو عبارة عن مجهود يُبذل لضبط النفس، وفيه تسيطر النفس على ذاتها، وتنشد تنظيم شهواتها (Toynbee, 1966, v2, p256).

وفي حالة السلوك الاجتماعي:

الأولى: الشرود، وهي محاولة التخلص من المأزق بالهروب من مواجهته، بصورة تراخي، فالمتراخي يتخلّف عن الصفوف محاولاً في يأس إنقاذ ذاته.

الثانية: الاستشهاد، وهي نشدان أن الموت تحقيقاً لهدف مثالي، وهي وسيلة بديلة عن الأولى لمواجهة نفس المحنة (Toynbee, 1966, v2, p256-257). ويعتبرها وسيلة لتتخلص النفس من "الثقل الشاق المُنهك"، وهي هنا أحد أشكال الهروب (Toynbee, 1966, v2, p277).

وإذا انتقلنا عن سطح السلوك إلى عمق الشعور؛ فنجد بديلين للابتداع الحيوي الذي يصاحب الإرتقاء، يظهران في عصر التحلل على صعيدي الفرد والمجتمع، أما على الصعيد الفردي، فيظهر نوعان من الشعور هما: الأول: الشعور بالنسيان؛ إن فقدان "وثبة الارتقاء" يُعتبر من أشدّ المحن إيلاماً، التي تعتري الناس الذين يعيشون في عصر تحلل اجتماعي، وهذا يقودهم إلى الشعور بالسير

على غير هدى، أو الاندفاع مع التيار، وخضوع النفس المنهزمة بفعل إدراكها لفشلها في السيطرة على بيئتها (Toynbee, 1966, v2, p257, p281). والثاني: الشعور بالخطيئة بسبب إخفاق النفس في التفوّق على ذاتها، والسيطرة عليها، وله تأثير حافز "بما يُقرره للمخطىء بأن الإثم ليس – مع ذلك– بالشيء الخارج عن سلطانه، وبالجري يخضع لإرادته" (Toynbee, 1966, v2, p292-293). وفيما يخص الصعيد الاجتماعي يظهر بديلان للشعور بـ"أناقة الأسلوب" المصاحب للارتقاء وهما: الأول: الشعور بالإبتذال (استجابة سلبية)، وهو إحساس بالتشوش، تسمح فيه النفس لذاتها بالذوبان، وهذا الإحساس بالتشوش يتبدّى في الوسط اللغوي والأدبي والفني، أو في صورة إسلوب متزمت، ومركّب للأدب والتصوير والنحت والعمارة (Toynbee, 1966, v2, p258)، وفي السلوك والعادات (Toynbee, 1966, v2, p299). والثاني: الشعور بالاتحاد (استجابة إيجابية)، وتتخذ هيئة عجز في إسلوب الحياة، وهي بمثابة تنبيه إلى الإحساس بالوحدة، وهو إحساس يتسع ويتعمق، كلما اعتمد مجال الرؤيا، من وحدة البشرية عن طريق وحدة الكون، وهو نقيض الشعور بالابتذال السلبي الطابع، يُعبّر عن نفسه في صورة مادية، في إيجاد الدولة العالمية، (Toynbee, 1966, v2, p258, p366, p492). ويقود الانشقاق في نظر توينبي إلى ظهور فئات من المخلّصين:

الفئة الأولى: أصحاب النزعة السلفية، وهؤلاء يحاولون العودة إلى وضع سابق، وأفضل من الوضع القائم، وهي أحد أشكال السباحة ضد التيار، وهي إحدى المحاولات للفرار، من مواجهة حاضر لا يمكن احتماله، وهي تعبير عن الشعور بالفشل (Toynbee, 1966, v2, p384-400, p493).

الفئة الثانية: أصحاب النزعة المستقبلية، وهي تحاول أيضاً الفرار من الحاضر إلى غيبيات مستقبلية، وهذه محاولة فاشلة أيضاً، لأن الطبيعة البشرية –برأيه– تميل إلى التشبث بواقع مؤلم، أكثر مما تتطلع إلى مستقبل مجهول، وهي تدفع الإنسان إلى ناحية أخرى من تيار الزمن، وهي سعي للفرار من الحاضر (Toynbee, 1966, v2, p400-401).

الفئة الثالثة: أصحاب مبدأ الاعتزال والتجلي (الانعزاليون)، وهم من الفلاسفة الذين نبذوا الحاضر، وانقطعوا عنه انقطاعاً تاماً، ليعيشوا في جو خاص من التأملات، وهي حركة انسحاب فحسب، وهي نوع من أنواع الارتحال الروحي، التي يقوم بها السلفي، وتتمثل خطته في هذه الحالة في بذل أقل مقاومة، لتحويل القفزة الخافقة التي تقود إلى الكارثة إلى فرار، وهي

استجابة لتحدي فشل السلفية، والنتيجة المنطقية للروح الانعزالية هي الانتحار، كما في البوذية (Toynbee, 1966, v2, p421-422, p494).

الفئة الرابعة: رجعى الميلاد (عودة الميلاد) وهي كلمة يونانية (Palingenesia)، والمقصود بهذه الفكرة الطريق الذي يؤدي إلى التجلّي، بل إلى الأمام، بخلاف الطرق السابقة الثلاثة المسدودة. وهو حركة انسحاب مركّبة تتبعها حركة عودة، وهذه الحركة المزدوجة لليّن واليانج، تمثيل للإنسحاب والعودة، وهي ليست إعادة ميلاد الشيء مرة ثانية، بل هي ميلاد شيء جديد، وليس إعادة الحياة لشيء ولد، ومات من قبل، بل ميلاد مجتمع من نوع جديد (Toynbee, 1966, v2, p428-429). مثال ذلك ما قام به يسوع (المسيح عليه السلام)، بارتداده إلى الفلاة قبل تأدية واجبه التبشيري في الجليل (Toynbee, 1966, v2, p474).

التحدي والاستجابة وإيقاع التحلل:

يرى توينبي أن الصيغة القاعدية، التي تحكم إيقاع الارتقاء والتحلل الحضاري، هي: عملية التحدي والاستجابة؛ فالتحدي يلاقي استجابة ناجحة، إن حدث في حضارة في طور النمو، وتمضي الاستجابة الناجحة قدماً، فتولّد تحدياً آخر مختلفاً، يُلاقي كذلك تحدياً ناجحاً، وتضل عملية الارتقاء مستمرة، إلى أن يبرز تحدى يُفشل الحضارة في مجابهته، وهذا يُعتبر حدثاً مفجعاً، يعني توقف الارتقاء، ويُنذر بما يسمى الانهيار، وهنا يبدأ إيقاع التحلل.

إن استمرار التحدي برغم عدم مواجهته، يؤدي إلى أن يُبذل جهد عنيف مثير لمواجهة التحدي، إذا نجح تستأنف عملية الارتقاء سيرها، ثم تفشل الاستجابة وبعدها انتكاس أشد وقعاً، ثم بعد فترة تكون محاولة إضافية لإيجاد استجابة، قد تحقق في حينها نجاحاً مؤقتاً وجزئياً، لمواجهة التحدي الذي ما يزال على تزمّته، ثم إخفاق آخر قد يكون إخفاقاً نهائياً، ويضم بين ثناياه تحلل المجتمع (Toynbee, 1966, v2, p459-460).

ويرى توينبي عصر الاضطرابات الذي يتلو انهياراً، وهو بمثابة (كسرة)، وإنشـــاء الدولة العالمية بمثابة (نهضة)، وفترة الفراغ التي تتبع الدولــة العالمية، بمثابة (الكســـرة النهائية) (Toynbee, 1966, v2, p460).

وهو يصوّر عملية التحدي والاستجابة في هذا الايقاع: كسرة– نهضة– كسرة– نهضة– كسرة– نهضة– كسرة، ويسميها ثلاث "دقات" من إيقاع كسرة– نهضة، بل ثلاث دقات ونصف دقة، وهو يرى أنها قد تكون في بعض حالات التحلل دقتان ونصف، أو أربع ونصف، أو خمس ونصف.

ويخلص توينبي إلى تأكيد أن "ثلاث ضربات ونصف؛ هي النمط الذي يُلائم تواريخ عدد من المجتمعات المتحلّلة" (Toynbee, 1966, v2, p461).

وهكذا يوضح توينبي، أن عمل الروح الكامنة في الأرض، هو تاريخ الإنسان الدنيوي، تاريخ يتبدّى في أصول المجتمعات البشرية، وارتقاءاتها، وتحللاتها، وهي تعبّر عن إيقاع أساسي تحت أسماء: التحدي والاستجابة، الانسحاب والعودة، الكسرة والنهضة. التبني وثبوت النسب، الانشقاق ورجعة الميلاد، وهذه هي الإيقاع الأساسي للين واليانج.

وبيّن أن الحركة المنبعثة من هذا الإيقاع ليست تكراراً لا طائل تحته، وهي حركة تحتوي على متضادات كثيرة، كالانتصار والهزيمة، والخلق والدمار، والميلاد والموت، وبهذا فإن هذا الإيقاع (إيقاع الين واليانج)، هو إنشودة الخلق، ولن تكون صيرورته عملاً خلاّقاً، إلا إذا استوعب بين طياته جميع الأشياء، بما في ذلك نقيضه نفسه (Toynbee, 1966, v2, p473-475).

سادساً– نقد نظرية توينبي في تفسير التاريخ

وجهت لنظرية توينبي في تفسير التاريخ انتقادات عديدة، كان من بينها ما وجهه المؤرخ بيريم سوروكين إلى توينبي كونه اعتبر الحضارة وحدة معقولة للدراسة التاريخية، كما أنه اعتبر الأدوار الحضارية من النشؤ إلى الانحلال أساساً لفلسفة تاريخية (Geyl, 1949, pp107-114)، وسوركون يرى أن توينبي يعتبر الحضارة ليست مجرد مجال للدراسة التاريخية، وإنما نظاماً موحداً، مترابط الأجزاء، وأي تغيّر يصيب جزءاً منه، ينعكس على بقية الأجزاء، أي أن توينبي يعتبر أن الحضارات كيانات حقيقية، لا مجرد تكتلات لعدد من الظواهر، فلو صحّ هذا الافتراض للزم التغيّر في أحد المقومات تغيّراً في مجموعها في سياق مطرد (Al-.Geyl, 1949, pp107-11 Samarrai, 1984, p64)

كما وجه النقد إلى ما يكرره توينبي حول حدوث تغيرات اقتصادية وتقنية في الحضارة الواحدة، لا يرافقها تغير في الظواهر الأخرى، وأنه قد تكون التغيرات الاقتصادية في اتجاه بينما التغيرات في العناصر الأخرى، في اتجاهات أخرى، ومن هنا فإن توينبي يقوّض أساس نظريته القائلة بأن الحضارات وحدات حقيقية ملتحمة الأجزاء، مع بعضها البعض (Khoury, 1960, p107-108). وأن ما يسميه توينبي وحدة حضارية ليس في الواقع إلا مجال ثقافي، توجد فيه عدة عناصر من الأنظمة والتكتلات الاجتماعية والثقافية الكبيرة والصغيرة، وتكون منسجمة في جانب منها ومتجاوبة أو متباينة في جانب آخر، وهكذا فإن مبدأ الأدوار الحضارية في تفسير توينبي يصبح فاسداً فما لم

يكن في أصله بيئة حيّة، لا يمكن أن يولد وينمو ويموت. كما وجه النقد إلى تقسيم توينبي للحضارات، وكذلك قوله بتفاوت أعمار الأدوار المختلفة، وأن دور النشؤ في الحضارة يعتبر فترة سلام دائم، فهذا لا يُؤيده واقع العديد من الحضارات التي شهدت خلال دور النشؤ الكثير من الفتن والقلاقل، ولا يتفق البعض مع توينبي حول مسألة أثر التوسع الجغرافي في عملية النمو الحضاري، فالعديد من الحضارات لم تتقدم وتنمو إلا بفعل مثل هذا التوسع، ويعارضونه في حديثه عن خصائص غالبة لبعض الحضارات مثل الجمالية للحضارة الاغريقية، والدينية للهندية، فالواقع يدحض ذلك، وأحوال الحضارات تتبدل بشكل مستمر، فمثلاً كانت الحضارة الغربية من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر تمتاز بالطابع الديني، ولم تكن آلية تقنية، والحضارة الإسلامية من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الميلادي، امتازت بالطابع العلمي وبهذا تكون الخصائص المميزة للحضارات ليست في حقيقتها سوى أحوال حضارية متبدلة، وينتقد توينبي لاعتماده على شواهد من الدول القومية، مع أنه لا يعترف بها كوحدات للدارسة التاريخية، وأُخذ عليه إطالته لدراسته، مع التقدير لآراء توينبي وجهوده، فقد عدّ دراساته من أعظم ما كتب في مجال البحث التاريخي في الوقت المعاصر (Al-Samarrai, 1984, p67. Khoury, 1960, p110).

وانتقد عدد من الفلاسفة والمؤرخين، سوء استخدامه (توينبي) وتطبيقه المنهج التجريبي في دراسته، فقد كان انتقائياً في انتخابه الظواهر المساندة لفرضياته، وأنه عرض شواهده بالطرق التي تلائمه، وفسّرها تفسيراً يوافق الفكرة العامة الجاهزة لديه، كما أن اختيار الفرضيات لم تحققه التجربة الحاسمة، إلى جانب أن عملية انتقاء الشواهد حملته على التبسيط، وبالتالي التشويه لحقيقة الظواهر التاريخية فضلاً عن النظر إلى أجزاء الكل عن أنها وحدات منفصلة قائمة بذاتها، إضافة إلى أن أدلته مثلاً على صحة نظرية التحدي والاستجابة، أو نظرية الاعتكاف والعودة، منتزعة من إطارها الكلي وظروفها الشاملة في حياة هذه أو تلك من الحضارات (Khoury, 1960, p111) .

وهناك من ينتقد توينبي لاعتماده على المصـــادر المكتوبة، وإغفاله أثـــار تلك الحضـــارات، وبشكل خاص الآثـــار القديمة، التي ترجع إلى عصور ما قبل الكتابة التاريخية (p301-3031974, Hattab,). وهناك من يُعلق على هذا القول، قائلاً: "هذا ولا يمكن أن تطالب المؤرخ أن يكون في الوقت نفسه، عالماً في الآثار، كما أن توينبي– على ما يبدو– لم يُكرّس هذه الدراسة لإنسان ما قبل التاريخ بقدر ما هي سجل لحضارة الإنسان التاريخي صاحب السجلات المكتوبة", (Obaid, 1981, p145-146).

ونجد من ينكر عليه صفة المؤرخ، ويرى أنه شاعر أدخل على التاريخ عنصراً شاعرياً إنسانياً، ولكنه لم يكتب تاريخاً حقيقياً منهجياً كما يرون (Mu'nis, 1984, p181).

أما المؤرخ العربي الدكتور عبد العزيز الدوري، فيرى أن توينبي "يتجه وجهة تقرب من أسلوب المثاليين في التاريخ، وهو يرى أن التاريخ يسير إلى غاية أخلاقية، ولم يتناول التاريخ كله بل تجاوزه إلى المستقبل، وحاول أن يشير إلى احتمالات الحضارة الغربية المقبلة، لقد تحوّل من الاجتماع إلى ما وراء الطبيعة" (Al-Douri, 1972, p80). ويرى د. عماد الدين خليل أن هجمة فلاسفة التاريخ الغربيين على توينبي ووصف بأنه مفكر لاهوتي مزج استنتاجاته الفكرية بكثير من القيم والرؤى الروحية لم تكن علمية، وفي نظره أن ما قدمه توينبي يعد فتحاً جديداً في مجال التفسير التاريخي. (Khalil, 1981, p 15)

ويرى البان ويدجيري (Alban G. Wedgry) "أن تفسير توينبي النهائي تفسير ديني في جوهره" (Wedgry, 1977, p33) ويرى البعض أن تفسيره للتاريخ تفسير مسيحي في فلسفته العامة، وأنه يصدر في أحكامه كلها من هذه الفلسفة (Khoury ,1960, p112). وهو قد حصر نشأة الحضارات وارتقاؤها في نطاق نشأة الأديان، وأنه لا بد من ظهور دين جديد لاجتياز عصر الاضطرابات الذي تعانيه حضارة ما، وأن المخلصين المبدعين يكاد يكونون مقصورين على الرسل والأنبياء.

خاتمة ونتائج:

يمكننا القول بأن هذا البحث قدّم تعريفاً عاماً بحياة المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي وفكره وفلسفته ومحطات مسيرة حياته وصلتها بالمساهمة الجادة التي قدّمها في سبيل تفسير التاريخ. كما اعتنى ببلورة الخطوط العريضة لفلسفة التاريخ عند توينبي من خلال مؤلفه الشهير "دراسة للتاريخ"، وأبرز محورية نظرية التحدي والاستجابة في فكر توينبي التاريخي وفلسفته في فهم التاريخ وتفسيره، وذلك عبر توضيح فلسفته في تفسير نشوء الحضارات، ونموها وازدهارها، من جهة، وتراجعها وانهيارها وتحللها من جهة ثانية، كما سلّط هذا البحث الضوء على القراءات النقدية لنظرية التحدي والاستجابة ولمجمل فلسفة توينبي في دراسة التاريخ وتفسيره وتحليله. وقد أظهر البحث مكانة توينبي في مجال تفسير التاريخ ونشوء الحضارات وانهيارها، وفي ميدان نظريات فلسفة التاريخ المعاصرة.

ويظهر جليّاً من خلال هذا البحث المكانة الهامة، التي تبوأها توينبي في مجال فلسفة التاريخ ومناهج فهمه ودراسته وتحليله واستنباط المفاهيم العامة الرئيسة في دراسة تاريخ البشرية، وما أثارته مساهمة توينبي من مواقف متباينة حيالها تأييداً وقبولاً أو معارضة ورفضاً.

وقد ظهر جلياً من خلال هذا البحث أهمية المساهمة الفكرية التي قدّمها توينبي في تفسير التاريخ. كما أظهر البحث نظرية التحدي والاستجابة التي شكّلت جوهر فلسفة توينبي في تفسير التاريخ. واستبان لنا عبر هذا البحث الأثر الذي تركته نظرية توينبي في مجال مناهج دراسة التاريخ في العصر الحديث، وما أحدثته من جدل واسع وعميق بين الفلاسفة والمؤرخين المحدثين اتفاقاً واختلافاً مع مضامينها وأدواتها المنهجية والمعرفية، واستخلاصاتها ومسلّماتها. ولعله من البديهي القول بأن هذا البحث نجح في تأطير نظرية التحي والاستجابة كما وردت في كتاب توينبي الأهم "دراسة للتاريخ"، وقدّم البحث هذا، توضيحات منهجية لعلاقة التحدي والاستجابة بنشوء الحضارات، والعلاقة بين التحدي والاستجابة ونمو الحضارات وازدهارها وانهيارها وتحللها. واتضح من خلال هذا البحث أن تونيبي إعتمد المنهج التجريبي في دراساته التاريخية، وهو منهج ينطلق من اعتبار الأحداث والظواهر التاريخية حقائق واقعة. وأبرز هذا البحث أن توينبي، وهو يدرس التجارب الحضارية للأمم والمجتمعات (الحضارات) استخدم مناهج علم النفس الاجتماعي، باعتبار أن النشاط أو السلوك الاجتماعي مرتبط إلى درجة كبيرة بالبنية النفسية الخاصة بالجماعات. وأظهر البحث هذا، أن تونيبي انطلقَ في دراسته التاريخ الإنساني، بدءاً من الحاضر المعاصر ذاهباً منه إلى الوراء إلى الماضي الذي يعتبر الجذر والأساس الذي قامت عليه الحضارات المعاصرة، وبهذا فقد سلك منهجاً مغايراً لسائر مؤرخي التاريخ العالمي الذين يبدأون بالماضي ليصلوا إلى الحاضر. ولعل نقطة البداية والارتكاز في فكر تونيبي، هي أن كل جزئية من جزئيات التاريخ لا يمكن أن تؤخذ بمعزل عن جملة سياق التاريخ، فليس هناك إمكانية لفهم تاريخ أي أمة من الأمم بمعزل عن مجرى التاريخ العام وسياسته، وفي المجمل كان منهج توينبي هو الوصول إلى إثبات أن التفاعل بين التحديات والاستجابات، هو العامل الذي يُعتدّ به قبل كل شيء آخر في بدء الحضارات ونهايتها.

المصادر والمراجع

إسماعيل، محي الدين، توينبي، *منهج التاريخ*، فلسفة التاريخ، بغداد، 1997.

توينبي، أرنولد، *مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد الشبل*، مراجعة محمد شفيق غربال، لجنة التأليف والترجمة، الجامعة العربية، القاهرة 1966، جزءان.

حطّاب، صدقي عبد الله، أرنولد توينبي، *مجلة الفكر المعاصر*، م5، ع1، 1974، ص289-310.

خليل، د. عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981.

خوري، منح، *التاريخ الحضاري عند توينبي*، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1960.

الدوري، عبد العزيز، فلسفة التاريخ (عرض تاريخي) *مجلة عالم الفكر*، م2، ع2، 71-1972، ص65-83.

السامرائي، نعمان، *أضواء على تفسير التاريخ، مكتبة المعارف*، الرياض، الطبعة الأولى، 1984.

الشبك، فؤاد محمد، توينبي، مبتدع المنهاج التاريخي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1975.

الشبك، فؤاد محمد، دراسة التاريخ لأرنولد توينبي، *مجلة تراث الإنسانية*، ابريل، 1962.

صبحي، د. أحمد، *في فلسفة التاريخ*، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية،1975.

عبيد، د، اسحق، *معرفة الماضي* من هيرودوت إلى توينبي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1981.

مراد، د. محمد، *المدارس التاريخية الكبرى، دراسة نظرية في مناهج البحث وفلسفة التاريخ*، مكتبة الفقيه، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ، 1996م.

مؤنس، د. حسين، أرنولد توينبي ونظرية التحدي والاستجابة، *مجلة العربي*، ع 1982، يناير 1974، ص99-105.

مؤنس، د. حسين، *التاريخ والمؤرخون*، دار المعارف، القاهرة، 1984.

ويدجيري، البان، *المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي*، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية، 1979.

References:

Al-Douri, Abdel Aziz, *Philosophy of History (historical review*), Alam Al-Fikr magazine, vol. 2, p. 2, 71-1972, pp. 65-83.

Al-Samarrai, Numan, *Spotlight on the Interpretation of History*, Knowledge Library, Riyadh, First Edition, 1984.

Al-Shabak, Fouad Mohamed, Arnold Toynbee's History Study, *Journal of the Heritage of Humanity*, April, 1962.

Al-Shabak, Fouad Mohamed, Toynbee, *the innovator of the modern historical method*, the Egyptian General Authority for Books, 1975.

Geyl, Pieter, *Toynbee and Sorokin, The Pattern of the* Past, Beacon Press, 1949.

Hattab, Sidqi Abdullah, Arnold Toynbee, *Journal of Contemporary Thought*, Vol. 5, No. 1, 1974, pp. 289-310.

Ismail, Mohiuddin, Toynbee, *Methodology of History, Philosophy of History*, Baghdad, 1997.

Khalil, Dr. Emad al-Din, *The Islamic Interpretation of History*, House of Science for the Millions, Beirut, Third Edition, 1981.

Khoury, Manah, *The Civilizational History of Toynbee*, House of Knowledge for the Millions, Beirut, First Edition, 1960.

Mu'nis, Dr. Hussein, Arnold Toynbee and the theory of challenge and response, *Al-Arabi Journal*, No. 1982, January 1974, pp. 99-105.

Mu'nis, Dr. Hussein, *History and Historians*, Dar Al Ma'arif, Cairo, 1984.

Murad, Dr. Muhammad, *The Great Historical Schools, a theoretical study of research methods and the philosophy of history*, Al-Faqih Library, Beirut, first edition, 1416 AH, 1996 AD.

Obaid, Dr. Isaac, *Knowledge of the Past from Herodotus to Toynbee*, Dar Al Ma'arif, Cairo, First Edition, 1981.

Subhi, Dr. Ahmed, *On Philosophy of History, University Culture Foundation*, Alexandria, 1975.

Toynbee, Arnold, *A Brief Study of History, translated by Fuad Muhammad al-Shibl, Revision by Muhammad Shafiq Ghorbal*, Committee of Authorship and Translation, Arab League, Cairo 1966, two parts.

Wedgery, Alban, *The Great Doctrines in History from Confucius to Toynbee*, translated by Dhuqan Qarqout, Dar Al-Qalam, Beirut, Second Edition, 1979.